ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مقبولية عمر الخيام في مصر من النص الفارسي إلى الثقافة المصرية

واثق عبد مطر العساكري قسم اللغة العربية وآدابها, جامعة تربيت مدرس, طهران, إيران
هادي نظري منظم قسم اللغة العربية وآدابها, جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران
خليل بروینی قسم اللغة العربية وآدابها, جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران
فرامرز میرزایی قسم اللغة العربية وآدابها, جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران

The Reception of Omar Khayyam in Egypt: From Persian Text to Egyptian Culture

Wathiq Abd Mutar Al-Asakari Department of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran
Hadi Nazeri Monazam Department of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran
Khalil Parvini Department of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran
Faramarz Mirzaei Department of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن السر وراء مقبولية وشهرة عمر الخيام في مصر، من خلال تحليل العوامل النصية والثقافية والاجتماعية التي أسهمت في ترسيخ حضوره في الوجدان المصري، وذلك بالاعتماد على منهج روجر أسيلينو في دراسة المقبولية الأدبية، الذي ينظر إلى النص ضمن شبكة من التفاعلات بين المبدع والمتلقي والسياق الثقافي. شهدت مصر خلال القرن العشرين استقبالًا واسعًا لأدب الخيام، حتى أصبح شاعر الرباعيات جزءًا من الذاكرة الثقافية المصرية، إذ وجدت النخبة الفكرية فيه صدىً لتأملاتها حول قضايا الوجود والموت والحب، وهي موضوعات انسجمت مع روح النهضة الفكرية آنذاك. بدأت ملامح هذا التفاعل مع ترجمة الخيام إلى العربية عبر وسائط إنجليزية وفرنسية، وكان لنسخة إدوارد فيتزجرالد دور بارز في فتح باب العالمية أمامه وتعريف المثقفين العرب به. ثم جاء التحول الأهم مع أحمد رامي، الذي درس الفارسية وترجم الرباعيات بلغة شعرية رشيقة اقتربت من الذائقة المصرية. وقد انتقلت هذه الترجمة من الحقل الأدبي إلى الفضاء الفني حين غنّت أم كلثوم "رباعيات الخيام" بألحان رياض السنباطي ومحمد عبد الوهاب، فتحولت إلى عمل فني خالد يجمع بين عمق الشعر وجمال الموسيقى. كما امتد تأثير الخيام إلى السينما والمسرح والدراما التلفزيونية، حيث استُحضرت رؤاه الفلسفية والرمزية بوصفها جزءًا من خطاب التأمل في المصير الإنساني. وفي العصر الرقمي، ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في إعادة حضوره من خلال تداول اقتباساته وصوره مصحوبة بالموسيقى. إن مقبولية الخيام في مصر ليست ظاهرة عابرة، بل حصيلة تفاعل متداخل بين النص والترجمة والفن والوسائط الحديثة، وهو ما يجعل تجربته نموذجًا فريدًا لتجسيد مفهوم المقبولية الأدبية في إطارها الثقافي المتعدد الأبعاد.

الكلمات المفتاحية: الترجمة ، المقبولية، الشهرة، عمر الخيام، الثقافة المصرية.

ABSTRACT

This study investigates the enduring acceptability and popularity of Omar Khayyam in Egypt by examining the textual, cultural, and social factors that shaped his deep-rooted presence in Egyptian cultural consciousness. Drawing upon Roger Asselineau's theory of literary acceptability—which interprets the text as a dynamic interaction between the author, the audience, and the surrounding cultural context—the research traces how Khayyam's Rubáiyát evolved from literary translations to a multifaceted cultural phenomenon. Throughout the

twentieth century, Egypt witnessed an extensive reception of Khayyam's poetry, as his meditations on existence, death, and love resonated with the intellectual climate of the Egyptian renaissance. The initial stage of this reception emerged through translations from English and French sources, especially Edward FitzGerald's renowned version, which introduced Khayyam to Arab intellectual circles and paved the way for his integration into modern Arabic thought. The pivotal contribution came from Ahmed Rami, whose mastery of Persian enabled him to render the Rubáiyát into refined, musical Arabic poetry that captivated Egyptian sensibilities. This translation gained monumental artistic expression when Umm Kulthum performed Rubáiyát al-Khayyam to the compositions of Riad al-Sunbati and Mohamed Abdel Wahab, transforming the verses into an eternal artistic symphony that fused poetic contemplation with musical brilliance. Khayyam's influence later extended into Egyptian cinema, theater, and television, where his philosophical and symbolic reflections were reinterpreted as meditations on human fate and moral questioning. In the digital age, his presence has been revitalized through social media platforms, where his verses and images circulate widely, often accompanied by music, reaffirming his relevance to contemporary audiences. Therefore, Khayyam's acceptability in Egypt emerges as a multidimensional and enduring phenomenon shaped by the interplay of text, translation, art, and modern media, embodying the essence of literary acceptability within Egypt's rich and diverse cultural framework **Keywords:** translation, temporary, fame, Omar Khayyam, Egyptian culture

١. المقدمة

تُعدّ المقبولية الأدبية أحد المفاهيم الجوهرية في ميدان الأدب المقارن، لما تقدّمه من أداة فاعلة في الكشف عن كيفية استقبال النصوص عبر الثقافات، وقدرتها على النفاذ إلى وعي المتلقي والتفاعل مع وجدانه. فالنص الذي يمتلك قابلية العبور بين اللغات والبيئات يُعيد إنتاج معناه مع كل قراءة جديدة، ويؤسس لحضور يتجاوز حدود الزمان والمكان. ومن هذا المنطلق، تغدو دراسة المقبولية مدخلًا مهمًا لفهم شهرة المبدعين خارج أطرهم اللغوية الأصلية، ولتتبّع مسارات انتقال نصوصهم إلى فضاءات ثقافية متباينة. ويأتي عمر الخيام مثالًا بارزًا على ذلك، إذ حققت رباعياته حضورًا لافتًا في العالم العربي عمومًا، وفي مصر خصوصًا، عبر سلسلة طويلة من الترجمات والتأويلات الفنية والأدبية. وقد ازدادت شهرته في العصر الحديث بفضل عوامل أدبية وفوق أدبية، من بينها حضور الرباعيات في الغناء والمسرح والسينما وغيرها من الفنون، ما عزّز ارتباط المتلقي العربي بصور الخيام وأفكاره وفلسفته الشعرية. إن مقاربة هذه الظاهرة من خلال مفهوم المقبولية الأدبية, بوصفه مجالًا أصيلًا من مجالات البحث المقارن, تُتيح الكشف عن أسباب استقبال المصريين للخيام، وتسليط الضوء على عناصر شهرته اللافتة، ليس في مصر وحدها، بل في سائر الأقطار العربية. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تسعى إلى تأصيل حضور الخيام في البيئة العربية الحديثة من خلال قراءة متأنية تجمع بين التحليل المقارِن ومنهج القبول، وتدرس كيف عاد نص فارسي كلاسيكي ليصنع حضوره من جديد في الوجدان العربي المعاصر.

٢. مسألة البحث

تنبع مشكلة هذا البحث من التساؤل حول السرّ الكامن وراء مقبولية عمر الخيام في مصر، وكيف تحوّلت رباعياته من نصّ فارسي محدود التداول إلى ظاهرة أدبية وفنية متجذّرة في الوعي الثقافي المصري. فعلى الرغم من أن الخيام عاش في بيئة مغايرة زمنيًا وثقافيًا، فإن حضوره في مصر خلال القرن العشرين بلغ مستوى من الذيوع جعله جزءًا من الذاكرة الجمالية والفكرية للمجتمع المصري. وهنا تتجلّى الإشكالية الرئيسة في محاولة فهم الآليات والعوامل التي أسهمت في هذا الانتقال والتجذّر، وهل كانت الترجمة وحدها كافية لتحقيق هذه المقروئية، أم إن الأمر يتجاوزها إلى التفاعل الثقافي والفني والاجتماعي الذي منح النص حياة جديدة داخل المنظومة المصرية.تسعى الدراسة إلى معالجة هذه الإشكالية من خلال تطبيق منهج روجر أسيلينو في المقبولية الأدبية، بوصفه إطارًا نظريًا يفسّر العلاقة بين النص والمتلقي والسياق الثقافي. ومن هذا المنطلق، فإن المشكلة البحثية تتمثل في تحديد كيفيات تشكّل مقبولية الخيام في مصر، والكشف عن الأبعاد النصية والثقافية والفنية التي جعلت رباعياته تتجاوز حدود الأدب الفارسي لتصبح جزءًا من الأدب العربي الحديث، والعالمي، وبخاصة في مصر التي مثّلت فضاءً ثقافيًا خصبًا لتلقي النصوص المترجمة وإعادة إنتاجها.

٣. الدراسات السابقة

تركّزت الدراسات السابقة حول رباعيات عمر الخيام في مصر على الترجمات والتحليل الأدبي والفلسفي للنصوص، مع إبراز أسلوب الشاعر ومعانيه الفلسفية. ومع ذلك، فإن أغلب هذه الدراسات لم تأخذ في الاعتبار الجانب الثقافي والسياسي والاجتماعي، ودور النشر، والتوقيت المناسب، وسهولة اللغة والترجمة، والوسيط في نقل النصوص، وهي العوامل الجوهرية التي يؤكد عليها منهج روجر أسيلينو في تحليل مقبولية النصوص الأدبية، وليس مجرد التلقي. فمفهوم القبول يتجاوز فهم النص أو تذوقه، ليشمل مدى استجابة المجتمع والثقافة والنظام الاجتماعي والسياسي

للنصوص، وتفاعلها مع الجمهور وفق ظروف محددة، ما يسمح بفهم شامل لكيفية ترسيخ الرباعيات في الوعي الثقافي والفكري المصري وتثبيت مكانة الخيام كشاعر مؤثر ومعترف به.

١. **أحمد رامي (١٩٣٤) « ترجمة رباعيات الخيام وتحليلها الأدبي»** مجلة الهلال المصرية. قدّم أحمد رامي ترجمة شعرية دقيقة لرباعيات الخيام مع تحليل أدبي ركّز على الأبعاد الفلسفية للشاعر وأسلوبه الشعري. أسهمت دراسته في نقل الجوهر الفارسي إلى العربية بأسلوب متقن، ما سهّل على القراء المصريين فهم فلسفة الخيام واستيعاب الرمزية الموجودة في نصوصه. ومع ذلك، لم تتناول الدراسة جانب المقبولية الأدبية أو تأثير السياق الثقافي والزمني على استقبال القراء. وقد تميّز رامي بقدرته على تكييف النص مع الذائقة المصرية عبر الأوزان الشعرية العربية، ما جعل الرباعيات قريبة من الحس الجمالي المحلي. إلا أن بحثه ركّز على التحليل الجمالي دون الغوص في ديناميات التلقي الشعبي أو المؤسسي. وهنا يبرز اختلاف دراستنا التي تربط هذا الجمال بسياقه التاريخي والاجتماعي وفق رؤية أسيلينو.

٢. **إبراهيم عبد القادر المازني (١٩٣٥) « فلسفة الخيام في الترجمات العربية »** مجلة الرسالة المصرية. ناقش المازني فلسفة الخيام من خلال الترجمات العربية، مركّزًا على موضوعات الحياة والموت والوجود، وساعد القراء على تبني قراءة فلسفية أعمق للنصوص. لكن المقالة لم تدرس كيفية تفاعل الجمهور المصري مع النصوص ضمن ظروف زمنية وثقافية محددة. ميّزت دراسته برؤية عقلانية متأثرة بالفكر النهضوي، فجعلت الخيام رمزًا للحرية الفكرية والتأمل الوجودي. ومع ذلك، غاب عنها تحليل البيئة الثقافية التي سمحت بهذا التقبّل أو رفضه. بينما تسعى دراستنا لربط هذه الفلسفة بمستوى القبول الاجتماعي والتاريخي الذي حدده أسيلينو كشرط أساسي للمقبولية الأدبية.

٣. **طه حسين (١٩٤٦) « مدخل إلى رباعيات الخيام »** مجلة الكاتب المصري. قدّم طه حسين دراسة تحليلية للأسلوب الشعري والرمزية الفلسفية، موضحًا قدرة النص على مخاطبة الذائقة العربية الحديثة. أكدت الدراسة أهمية الرباعيات في ترسيخ الفكر الفلسفي والأدبي لدى القراء المصريين، لكنها لم تتضمن تحليلًا لعوامل الزمن والمكان وتأثيرها على تقبّل الجمهور. وقد كانت قراءته للنصوص متأثرة بمدرسة النقد العقلاني التي تركز على التفسير اللغوي والرمزي. إلا أنه تجاهل البعد الاجتماعي والسياسي في استقبال الرباعيات. وهنا تبرز دراستنا في معالجة هذا النقص، من خلال تحليل التوقيت والوسائط الثقافية التي أسهمت في نشر الرباعيات.

٤. **سلامة موسى (١٩٥٠) « الخيام في ضمير القارئ المصري الحديث»** مجلة الثقافة، القاهرة . بحث تأثير الرباعيات على القارئ المصري، ونجاحها في تحفيز التأمل الفلسفي وتعزيز الحس النقدي والجمالي. ومع ذلك، لم تقدم الدراسة تحليلاً لظروف التلقي الثقافية والاجتماعية والزمنية التي تحدد مدى قبول النصوص. تميّزت مقاربته بنزعة إنسانية وتنويرية جعلت الخيام نموذجًا للتحرر الفكري. إلا أن دراسته اقتصرت على البعد الفردي للتلقي دون تفكيك البنية الجماهيرية للقبول. بينما يركّز منهج أسيلينو الذي نعتمده على التفاعل الجماعي والتاريخي للنص في البيئة المصرية.

٥. **محمد غنيمي هلال (١٩٦٢) « الأدب المقارن وترجمات رباعيات الخيام: دراسة في التأثير والتأثر»** مجلة الأدب المقارن، جامعة القاهرة. درس الرباعيات من منظور الأدب المقارن، مركزًا على أثر الترجمات المختلفة على الثقافة الأدبية في مصر، وبيّن تبادل التأثير بين الأدب الفارسي والعربي. لكن الدراسة لم تتناول العوامل المكانية والزمنية وتأثيرها على مقبولية النصوص. وقد مثّلت هذه الدراسة أساسًا مهمًا لفهم التفاعل بين الثقافتين، لكنها بقيت ضمن الإطار النصي البحت. أما دراستنا فتمتد لتحليل الأثر الواقعي للنصوص في الوعي الجمعي المصري، استنادًا إلى العوامل المتعددة التي حددها أسيلينو مثل اللغة والزمان والجمهور.

٦. **رضا يالشَرزه وآخرون (٢٠١١) « التلاعب والتلقي في ترجمة رباعيات الخيام عند الفيكتوريين »** مجلة دراسات الترجمة، طهران. حللت الدراسة التلاعب اللغوي وأساليب التلقي عند الفيكتوريين، مع مقارنة الترجمات العربية والإنجليزية، موضحة تأثير أساليب الترجمة في فهم النص وربطه بالذائقة العربية الحديثة. لكنها لم تركز على تقييم مقبولية النصوص ضمن السياق الثقافي والاجتماعي المصري. وقد أفادت الدراسة في توضيح التحديات الترجمية، إلا أنها ظلت ضمن إطار التحليل الغربي للنص. بينما تتبنى دراستنا منظورًا محليًا، يربط بين طبيعة الجمهور المصري وقدرته على استقبال الرموز الفلسفية بتدرجها الاجتماعي والثقافي.

٧. **كاظم العبادي (٢٠١٢) « تأثير رباعيات الخيام على التجربة الشعرية للعراقي جميل صدقي الزهاوي: مقارنة عربية »** مجلة الأستاذ، جامعة بغداد. درس أثر الرباعيات على الشعر العربي الحديث في مصر والعالم العربي، موضحًا كيف ألهمت الشعراء العرب في نقل الفلسفة الشعرية بأسلوب معاصر. رغم ذلك، لم يُدرج العوامل الزمنية والمكانية وتأثيرها على قبول النصوص لدى الجمهور المصري.

ركزت دراسته على التأثير الجمالي، لكنه أغفل التفاعل الشعبي والمؤسساتي مع النصوص. وهنا تكمن أهمية دراستنا التي تربط بين جمال التأثر وشرط القبول الأدبي وفق أسيلينو

٨. **حنان حماد (٢٠١٣) « من الاستشراق إلى الخمينية: قرن من الدراسات الفارسية في مصر»** المجلة الدولية للدراسات الشرق أوسطية. قدّمت الدراسة رصدًا قرنياً للدراسات الفارسية في مصر، مركّزة على الرباعيات وأثرها على الفكر الأدبي المصري، موضحة الدور الكبير للاستشراق في نشر الوعي بفلسفة الخيام وأسلوبه الشعري. لكنها لم تقيّم مدى تقبل النصوص من قبل القراء وفق السياق الزمني والثقافي. تميزت الدراسة بتوسّعها التاريخي الذي أبرز مراحل الاهتمام المصري بالأدب الفارسي، غير أنها بقيت حبيسة الرؤية الاستشراقية العامة. وفي المقابل، تتبنى دراستنا منظورًا تحليليًا داخليًا يدرس العوامل الاجتماعية والسياسية التي شكّلت قبول الخيام في البيئة المصرية.

٩. **إيفه مراد بلكجي أوغلو (٢٠١٥) « الرباعيات في التراث العثماني والتركي: دراسة في التلقي »** مجلة Iranian Studies. حللت كيفية تلقي ونقل الرباعيات في التراث العثماني والتركي، مع إبراز استفادة الترجمات العربية من التجربة العثمانية في نشر نصوص الخيام بين القراء المصريين. ومع ذلك، لم تتطرق الدراسة إلى الظروف الاجتماعية والثقافية المحددة للقراء المصريين. وقد قدّمت هذه الدراسة فهمًا مقارنًا لرحلة الرباعيات عبر الثقافات، لكنها ظلت بعيدة عن تحليل واقع القبول المحلي في مصر. بينما تسعى دراستنا إلى سد هذه الفجوة من خلال منهج أسيلينو الذي يدمج بين الزمن، والمجتمع، والوسيط الثقافي في فهم المقروئية والمقبولية.

١٠. **مجموعة باحثين (٢٠١٦) « نقد وتحليل الترجمات العربية لرباعيات الخيام»** مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد. قدّم الباحثون تحليلًا نقديًا للترجمات العربية، مركزين على اختلاف الأساليب بين المترجمين ودور الترجمات في ترسيخ صورة الخيام لدى القارئ المصري، لكنها لم تدرس تأثير التوقيت الثقافي والزمني على مقبولية النصوص. ورغم تنوع المناهج في هذه الدراسة، فإنها اقتصرت على التحليل النصي دون النظر إلى بنية التلقي في مصر. وهنا تتقدم دراستنا خطوة أبعد، إذ تفكك عملية القبول الأدبي ضمن بيئتها التاريخية والاجتماعية، وتربطها بآليات النشر والاستقبال الشعبي.

١١. **عبد الرحمن شكري (٢٠١٧) «ترجمات عبد الرحمن شكري لرباعيات الخيام واعتماده على النص الإنجليزي»** مجلة بحوث الأدب المقارن، جامعة عين شمس. ناقشت الدراسة تأثير ترجمات عبد الرحمن شكري على الأسلوب العربي، مركّزة على اعتماده على النص الإنجليزي، وما أسهمت به هذه الترجمات في نشر الرباعيات في مصر. لكنها لم تعالج التفاعل الثقافي والجماهيري مع النصوص ضمن السياق الزمني المناسب. وقد مثّلت ترجمات شكري حلقة وصل مهمة في تعريف القارئ المصري بالخيام، لكنها لم تُدرَس ضمن منظومة التلقي الاجتماعي والمؤسسي. أما دراستنا فتنظر إلى هذه الترجمات بوصفها ظاهرة ثقافية تتقاطع فيها اللغة والذائقة والتاريخ ضمن مفهوم أسيلينو للمقبولية.

١٢. **حفيظة سليماني (٢٠١٨) «ترجمة رباعيات عمر الخيام في الأدب العربي الحديث: دراسة نقدية »**مجلة دراسات الترجمة والأدب. قدّمت دراسة نقدية حول جودة الترجمة ودقة نقل المعاني الفلسفية، مع التركيز على تأثير هذه الترجمات على التلقي الأدبي في مصر. ورغم ذلك، لم تُحلّل دور السياق الزمني والثقافي في مدى تقبل النصوص. وقد اتسمت الدراسة بالصرامة اللغوية، لكنها غابت عن ميدان تحليل العوامل غير اللغوية مثل الجمهور والزمن ووسائل النشر. بينما تركّز دراستنا على هذه الجوانب الجوهرية التي تُعد وفق أسيلينو حجر الأساس في بناء مقبولية أي نص أدبي.

١٣. **بسام علي ربابعة (٢٠١٩) «نويل عبد الأحد وترجمة رباعيات الخيام: دراسة تحليلية»** مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة. حلّل ربابعة ترجمة نويل عبد الأحد، مركزًا على الأسلوب الشعري والبلاغة، وأثرها على الشعر العربي في مصر ومدى تقبّل الجمهور لها، لكنها لم تدرس الظروف الاجتماعية والثقافية التي ساهمت في قبول النصوص. وقد عالجت دراسته العلاقة بين النص المترجم والذائقة الأدبية، لكنها أغفلت الظروف السياسية والثقافية المحيطة بانتشار الترجمة. أما في دراستنا، فنفكك هذا التفاعل ضمن إطار شامل، يربط جودة الترجمة بالبيئة التي استقبلت النص كما يحددها منهج أسيلينو.

١٤. **بهروز قربانزاده (٢٠٢٠) «دراسة مكانة عمر الخيام في مصر بالاستناد إلى الترجمات العربية لرباعياته»** مجلة جامعة الزيتونة. درس مكانة الخيام في مصر اعتمادًا على الترجمات العربية، موضحًا كيف ساهمت هذه الترجمات في تشكيل وعي ثقافي وفكري لدى القارئ المصري حول فلسفة الخيام وأسلوبه الشعري. لكنها لم تُحلّل تأثير التوقيت الاجتماعي والسياسي على مقبولية النصوص. ورغم أهمية الطرح المقارن في توضيح موقع الخيام داخل الثقافة المصرية، فإن الدراسة لم تنفذ إلى تحليل عوامل القبول المتغيرة عبر الزمن. أما في دراستنا، فنُعيد قراءة هذه المكانة ضمن تسلسل زمني وثقافي ينسجم مع رؤية أسيلينو للتطور المرحلي للمقبولية الأدبية.

1-3 أسئلة البحث

١. ما العوامل التي أسهمت في انتشار مقبولية عمر الخيام في مصر وجعلت رباعياته تتجذر في الوعي الثقافي المصري؟
٢. كيف أسهمت الترجمة، ولا سيما ترجمة أحمد رامي، في إعادة تشكيل صورة الخيام ونقله من دائرة النخبة إلى الفضاء الجماهيري؟
٣. إلى أي مدى يمكن تطبيق منهج روجر أسيلينو في دراسة مقبولية الخيام لفهم تفاعل النص مع المتلقي والسياق الثقافي المصري؟

1-4 منهج البحث

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يسعى إلى الكشف عن مظاهر مقبولية عمر الخيام في مصر من خلال تتبّع المراحل التاريخية والثقافية التي انتقلت عبرها رباعياته إلى البيئة المصرية، وتحليل العوامل التي جعلت هذا الانتقال يتحول إلى ظاهرة أدبية وفنية متجذّرة. يعتمد هذا المنهج على وصف الظواهر الثقافية المرتبطة بالنص الخيامي كما ظهرت في الترجمات، والأعمال الغنائية، والنقد الأدبي، ثم تحليلها للكشف عن أبعادها الجمالية والفكرية. فالمنهج الوصفي يُعنى برصد الواقع الأدبي كما هو، بينما يتكفّل التحليل بتفسيره وبيان العلاقات التي تربط بين عناصره. ويستند هذا التحليل إلى الإطار النظري لروجر أسيلينو في دراسة المقبولية الأدبية، الذي يرى أن النص لا يُفهم بمعزل عن تفاعله مع المتلقي والسياق الثقافي والاجتماعي. ومن خلال هذا المنظور، تتناول الدراسة النص الخيامي لا بوصفه أثرًا لغويًا فحسب، بل بوصفه ظاهرة ثقافية عابرة للحدود. فمقبوليته في مصر لم تنشأ من خصائصه الأسلوبية وحدها، بل من اندماجه في منظومة الثقافة المصرية الحديثة عبر الترجمة والفن والنقد.كما توظّف الدراسة آليات المقارنة الثقافية للكشف عن الفروق بين قبول الخيام في موطنه الفارسي وقبوله في البيئة المصرية، مبيّنةً كيف تكيّف النص مع الذائقة العربية المصرية من خلال إعادة إنتاجه في اللغة العربية، وفي الغناء، وفي النقد الأدبي الحديث. وبذلك يجمع المنهج المتّبع بين الوصف الموضوعي للنصوص والظواهر، والتحليل المقارن الذي يربط بين الثقافتين الفارسية والمصرية. إن اعتماد هذا المنهج يمنح الدراسة طابعها العلمي، لأنه يتيح فهماً متوازنًا للعلاقة بين النص والمتلقي ضمن إطار ثقافي واسع، ويكشف عن أن مقبولية عمر الخيام في مصر هي نتاج تفاعل نصي وثقافي متعدد المستويات، لا يمكن تفسيره إلا عبر الجمع بين التحليل النصي والمقاربة الثقافية المقارنة.

2. المفاهيم النظرية

تنبع دراسة مقبولية عمر الخيام في مصر من تحليل انتقال رباعياته من سياقها الفارسي إلى البيئة المصرية الحديثة، مرورًا بالمحطة الغربية التي مثّلتها الترجمات الإنجليزية والفرنسية في القرن التاسع عشر، والتي كان لها الدور الأبرز في إحياء الخيام عالميًا قبل أن تُترجم رباعياته إلى العربية. لقد أسهمت تلك الترجمات، ولا سيّما ترجمة إدوارد فيتزجرالد، في صياغة صورة جديدة للخيام، مزجت بين العمق الفلسفي والجمال الرمزي، ما هيّأ لاستقبال واسع له في مصر ضمن مناخها الثقافي النهضوي الحديث. ومن هنا تنطلق الدراسة من أن هذا الانتقال لم يكن لغويًا فحسب، بل كان تحولًا ثقافيًا وجماليًا متعدد المراحل، عبر وسائط الترجمة الغربية والعربية معًا. ويستند هذا التحليل إلى نظرية المقبولية الأدبية كما صاغها روجر أسيلينو، التي تركز على فهم العلاقة التفاعلية بين النص والمتلقي والسياق الثقافي الذي يحتضن عملية الاستقبال. وتنطلق هذه النظرية من أن النص الأدبي لا يعيش بمعزل عن بيئته، بل يكتسب قيمته الجمالية والفكرية من تفاعله مع القارئ ومع منظومة الثقافة السائدة التي تعيد إنتاج معانيه.

٢-١ المقبولية الادبية

تُعتبر المقبولية الأدبية من المفاهيم الجوهرية في الدراسات النقدية الحديثة، إذ تشير إلى قدرة النص الأدبي على الاستمرار والتفاعل ضمن بيئات ثقافية وفكرية متعددة، بما يتيح له البقاء والتأثير عبر الزمن والمكان. هذه المقبولية ليست خاصية ثابتة أو جوهرية للنص ذاته، بل عملية ديناميكية تنشأ من تفاعل متواصل بين النص، والقارئ، والسياق الثقافي والاجتماعي المحيط بعملية القراءة. كما أن دراسة هذه الظاهرة تساعد الباحثين على فهم كيفية انتقال النصوص عبر الثقافات المختلفة، وتحقيق صدى وتأثير في أوساط متنوعة، ما يكشف عن العوامل التي تجعل نصًا ما يحظى بالاستمرارية والقبول، بينما تتراجع نصوص أخرى رغم امتلاكها عناصر جمالية وفكرية مماثلة (إسماعيل، ١٩٨٤: ٣٧).إن فهم النص الأدبي كمكوّن ديناميكي يتطلب التركيز على عناصره الداخلية، بما في ذلك اللغة والأسلوب والرمزية، فضلاً عن الأبعاد الفلسفية والأخلاقية والمضمون الموضوعي للنص. فالتفاعل بين هذه العناصر وبين المتلقي يولّد معانٍ جديدة تتجاوز ما قصده المؤلف، ويتيح للنص أن يتوافق مع التجارب الوجدانية والجمالية للمتلقي. ويعكس هذا أن عملية القراءة ليست مجرد استقبال سلبي للنص، بل تجربة نشطة تساهم في إعادة تشكيل المعنى وإعادة إنتاج القيم الثقافية والجمالية، ما يجعل المقبولية الأدبية ظاهرة متغيرة تتفاعل مع التحولات الاجتماعية والفكرية والجمالية في المجتمع (الجندي، ١٩٨٥: ٥٢). ويرى العديد من الباحثين أن المقبولية الأدبية لا تتحقق إلا من خلال التفاعل بين النص والبيئة الثقافية والمجتمع المتلقي.

فالنصوص تصبح مقبولة عندما يتم اعتمادها من خلال النقد الأدبي، أو الترجمة، أو الفنون الأدائية، أو التداول المجتمعي للأفكار والمضامين، بما يجعلها جزءًا من الذاكرة الثقافية المشتركة ومصدرًا لمعايير جمالية ومعرفية، ما يعزز دورها في تشكيل الوعي الاجتماعي والثقافي (إسيلينو، ١٩٦٠: ٩٧).تشير الدراسات إلى أن الأدب ليس مجرد انعكاس للواقع الاجتماعي أو التاريخي، بل قوة نشطة تسهم في إنتاج المعاني وتشكيل وعي المجتمع. فالنصوص التي تحقق المقبولية الأدبية تصبح أدوات فكرية وجمالية تعمل على إعادة صياغة القيم الثقافية والجمالية، وتُدرج في التراث الثقافي المشترك، لتصبح جزءًا من الذاكرة الجماعية، وقادرة على التأثير في الأجيال المختلفة وإحداث أثر طويل المدى على الثقافة والفكر العام (عبد الغني، ٢٠٠٦: ٤٤). وباختصار، تُظهر الدراسات أن المقبولية الأدبية ليست مجرد تقدير جمالي أو إعجاب بالنص، بل هي عملية ديناميكية تتشكل من خلال التفاعل المستمر بين النص، والقارئ، والسياق الثقافي والاجتماعي، والظروف المؤسساتية. النصوص الأدبية الحية والناجحة هي التي تحقق هذا التفاعل وتضمن حضورها المستمر، ما يجعل الأدب قوة فاعلة قادرة على التأثير عبر الزمن والمكان وإعادة إنتاج المعاني الثقافية والجمالية في المجتمع (عبد الصبور، ١٩٨٠: ٥٨).

٢-٢ شهرة الخيام في الغرب

تُظهر دراسة شهرة رباعيات عمر الخيام في الغرب أن وصول هذه النصوص لم يكن بالصدفة، بل نتيجة تفاعل معقد بين النص ذاته، والظروف الفكرية والثقافية، والوسائل الترجميّة والفنية التي مكنت الأدب الفارسي من تجاوز حدود الثقافة المحلية إلى حضور عالمي. وقد بدأت هذه العملية مع ترجمة المستشرق الإنجليزي إدوارد فيتزجيرالد عام ١٨٥٩، التي قدّمت الرباعيات بصياغة شاعرية رومانسية تضمنت إضافات اجتهادية لم تكن في النصوص الأصلية، لكنها منحته بعدًا فلسفيًا وجوديًا أتاح للقراء الأوروبيين إدراك عمق فكر الخيام (فيتزجيرالد، ١٨٥٩: ٤٥). وتأثرت ترجمة فيتزجيرالد بالمناخ الرومانسي السائد في أوروبا، الذي سعى لاكتشاف "الأصوات الشرقية" للتعامل مع القضايا الوجودية مثل الموت والزمن، ما جعل الرباعيات تخاطب القارئ الغربي في سياقه الفكري الخاص (سعيد، ١٩٧٨: ١٥٩). وقد ركّز فيتزجيرالد على الموت والزمن واللذة المؤقتة، مانحًا النصوص طابعًا فلسفيًا وجوديًا يعكس قلقه الشخصي تجاه الحياة والمصير، وجعلها أقرب إلى القارئ الأوروبي الباحث عن التأمل الفردي (النجفي، ١٩٢٩: ٣٩). ومن هنا بدأت مقبولية الخيام تتعاظم في الغرب، إذ لم تعد مجرد نصوص شعرية محلية، بل تجارب فكرية وفلسفية تصلح للتأمل العام.ساهمت ترجمة فيتزجيرالد في وضع الرباعيات على خارطة الأدب العالمي، إذ أصبحت متاحة للجامعات الأوروبية والأمريكية وموضوعًا للبحث الأكاديمي، مع الحفاظ على التوازن بين البعد الفلسفي والجمال الأدبي للنصوص (فيتزجيرالد، ١٨٥٩: ٤٥). ومن أبرز عوامل القبول في الغرب: العمق الفلسفي الذي يطرح أسئلة وجودية، الإبداع الترجمي الذي جعل المعاني الفردية تجربة إنسانية عامة، الأسلوب السلس والواضح، دعم المستشرقين والمترجمين والباحثين، وقدرة النصوص على المزج بين المعنى الفلسفي والبعد الجمالي. بعد ترجمة فيتزجيرالد، أعاد عدد من المستشرقين ترجمة الرباعيات إلى لغات أخرى مثل الفرنسية والألمانية والإيطالية، ما عمّق حضور الخيام عالميًا وجعل النصوص جزءًا من التراث الأدبي العالمي. هذا الانتشار ساعد القراء الغربيين على الاطلاع على فلسفة الشرق بطريقة متاحة وجذابة، وعزز مكانة الخيام كشاعر عالمي تجاوزت أعماله حدود بلاده الأصلية. ويمكن تلخيص أسباب شهرة الخيام في الغرب في عدة نقاط:

أولًا. العمق الفلسفي للنصوص الذي يطرح أسئلة وجودية يمكن للقراء التفاعل معها بسهولة.

ثانيًا. الإبداع الترجمي الذي أعاد صياغة النصوص بما يتوافق مع الذائقة الأوروبية، وجعلها تجربة إنسانية عامة.

ثالثًا. الطابع الأسلوبي السلس والواضح الذي ساعد على فهم النصوص دون تعقيد لغوي.

رابعًا. دعم المستشرقين والمترجمين والباحثين الأوروبيين، ما جعل النصوص جزءًا من المناهج الدراسية والأبحاث الأكاديمية. **خامسًا**. قدرة النصوص على المزج بين المعنى الفلسفي والبعد الجمالي، ما جعلها تجربة متكاملة تصلح للتأمل الشخصي والعلمي (فيتزجيرالد، ١٨٥٩: ٥٧).

بذلك، يمكن القول إن شهرة ومقبولية رباعيات عمر الخيام في الغرب لم تكن ظاهرة عابرة، بل نتيجة تفاعل متشابك بين النص، والفكر الغربي، والوسائل الترجميّة والفنية، ما جعل النصوص جزءًا من التراث الثقافي العالمي، وقدرة على التأثير في القارئ الغربي عبر الزمان والمكان، وتثبيت مكانة الخيام كأحد أبرز الشعراء والفلاسفة العالميين الذين بنوا جسورًا دائمة بين الثقافة الفارسية والفكر الغربي.

٢-٣ شهرة الخيام في مصر

إن شهرة عمر الخيام في مصر تمثل إحدى الظواهر الثقافية والفكرية الأكثر تعقيدًا في القرن العشرين، إذ لم تقتصر على كونه شاعرًا فارسيًا مترجمًا، بل تجاوزت ذلك لتصبح حضورًا متعدّد الأبعاد يتضمن القراءة، والاستماع، والتداول العام، والنقد، والتعليم، والفن، حتى غدا الخيام علامة مميزة في الوعي الثقافي المصري. تختلف الشهرة عن المقبولية، فهي لا تستلزم بالضرورة استيعاب النص أو فهم فلسفته، بل تعني انتشار اسم

الشاعر أو النص في الأوساط الثقافية والعامة، وظهوره في وسائل الإعلام والمناسبات الفنية والأدبية. وقد تجلّت شهرة الخيام في مصر من خلال عدة محاور مترابطة: الترجمات، والغناء والموسيقى، والإعلام، والنقد، والتعليم، والمسرح والدراما، وحتى في الحياة الشعبية اليومية (رامي، ١٩٥٢: ٣٣)أول مدخل للشهرة كان عبر الترجمة الأدبية، حيث لعب أحمد رامي دور الوسيط الأكثر تأثيرًا بين النص الفارسي والجمهور المصري. فقد أسس رامي جسورًا ثقافية متينة من خلال ترجمته لرباعيات الخيام، مع إعادة صياغة النصوص بأسلوب شعري واضح وبسيط، قادر على جذب القارئ العام، وليس فقط المثقف العربي. وبذلك، لم يكتفِ رامي بنشر النصوص في الصحف والمجلات، بل حرص على جعلها نصوصًا يمكن تداولها في الأوساط العامة، إذ صدرت أعماله في طبعات متكررة وحققت مبيعات واسعة، ما أتاح للخيام أن يدخل مرحلة الشهرة الجماهيرية قبل أي حضور فني آخر (رامي، ٢٠٠٠: ٦٥)وقد ساعدت وسائط الغناء والموسيقى على تضخيم شهرة الخيام في مصر. فالألحان التي وضعها محمد عبد الوهاب، مثل موسيقى الخيام عام ١٩٦٢، لم تحصر النصوص في نطاق القراءة الأكاديمية أو الأدبية، بل جعلت تجربة الخيام حية ومرئية وسمّاعة، يستطيع المستمع العادي أن يختبرها شعوريًا وفكريًا في الوقت نفسه (السعدني، ١٩٨٨: ١٥٤). أما أم كلثوم، فقد كانت الوسيط الأبرز الذي نقل الخيام من النصوص المقروءة إلى الوجدان المصري العام، إذ غنت الرباعيات بصوتها الجاذب، وبتلحين رياض السنباطي الذي مزج بين المقامات الشرقية والتقاليد الموسيقية الغربية، فخلق نصوصًا موسيقية مغنّاة تصدح في البيوت والمقاهي والمسارح، وأصبحت معروفة لدى الجمهور على نطاق واسع (رجائي، ١٩٩٩: ٢١١). إن هذه التجربة الموسيقية لا تقتصر على تقديم الشعر، بل تُعد عملية تكاملية تجمع بين التأمل الفلسفي، واللحن، والأداء الصوتي، مما يمنح النص شهرة واسعة جدًا على مستوى المجتمع المصري.من جانب آخر، لعب الإعلام والصحافة والمجلات الأدبية دورًا رئيسيًا في نشر اسم الخيام وإشهاره، سواء من خلال المقالات النقدية أو التحقيقات الفكرية أو المقابلات التي تناولت فكره وشعره، ما ساعد على تكرار ظهور اسمه في المشهد الثقافي العام، فصار لدى الجمهور اسم مألوف يرتبط بالحكمة والفلسفة والجمال الشعري (هلال، ١٩٧٣: ٤٥). هنا، تتضح العلاقة بين الشهرة والظهور الإعلامي، فكلما تعددت الوسائط التي يظهر فيها الشاعر، سواء بالكتابة أو الصوت أو الصورة، زادت احتمالية ترسخ اسمه في الذاكرة الثقافية.وعلى المستوى التعليمي، ساهم إدراج بعض رباعيات الخيام في مناهج المدارس الثانوية تحت عنوان "الأدب العالمي" في ترسيخ شهرة الخيام لدى الأجيال الشابة، فتعرف الطلاب على نصوصه بشكل رسمي ضمن المناهج الدراسية، ما أتاح لها التداول اليومي داخل الفصول الدراسية وخارجها، وأكسبها بعدًا شعبيًا متصلًا بالتجربة التعليمية (عبد المقصود، ٢٠١٧: ٨٠). يمكن القول إن هذا التواجد في المنهج الدراسي لم يكن مجرد تعليم للنصوص، بل كان وسيلة لإشهار اسم الخيام وربطه بالثقافة العامة، حتى لدى من لم يقترب من النصوص الفارسية الأصلية أو الترجمات التفصيلية.كما لعب النقد الأدبي والفني دورًا مهمًا في دعم شهرة الخيام، حيث أشار النقاد المصريون إلى أن الرباعيات تتمتع بقدرة على الجمع بين الفلسفة والشعر، مما جعلها جذابة لمختلف الفئات. فقد كتب محمد غنيمي هلال أن الرباعيات "تعكس فلسفة وجودية شعورية"، فيما رأى صلاح عبد الصبور أن شعر الخيام يمتاز بالقدرة على المزج بين الحكمة والعمق الشعري، ما جعله قريبًا من وجدان المثقف المصري الباحث عن الأصالة والحداثة في آن واحد (عبد الصبور، ١٩٨٠: ٥٤). كما لاحظ شوقي ضيف أن الخيام وجد لنفسه مكانًا في الأدب العربي الحديث لأنه يعالج قضايا الإنسان في عصر التحولات الكبرى، ما ساعد على انتشار اسمه في الدوائر الثقافية المختلفة (ضيف، ١٩٨٣: ٢١١).وفي سياق الفن البصري والمسرح والدراما التلفزيونية، ساهمت الأعمال التلفزيونية التي تناولت الخيام أو اقتبست أفكاره في توسيع نطاق شهرته، إذ مثلت هذه الأعمال فرصًا لتقديم صورة متكاملة للشاعر والفيلسوف، وبذلك أصبح الخيام شخصية مرئية وموضوعًا للنقاش الثقافي والفكري، وليس مجرد اسم على صفحات الكتب (الهاشمي، ٢٠١٨: ١٤٤) إن انتشار الرباعيات في الفضاء الشعبي يمثل بعدًا آخر لشهرة الخيام، فقد تحول جزء من نصوصه إلى أمثال شعبية أو حكم قصيرة يتم تداولها في الحوارات اليومية، في المقاهي، أو في التجمعات الاجتماعية، ما ساهم في ترسيخ اسمه كرمز للمعرفة والحكمة، وصار مرتبطًا بحكم الحياة اليومية، وليس مجرد شاعر بعيد المنال (الجندي، ١٩٨٥: ٢١٤). هنا يمكن إدراك الفارق بين المقبولية والشهرة، إذ الأولى تتعلق بفهم النص واستيعاب فلسفته، أما الشهرة فهي تتعلق بالانتشار والظهور في وعي الجمهور العام.كما يعكس تفاعل الجمهور مع الرباعيات عبر الغناء والموسيقى بعدًا حيويًا في شهرة الخيام، فقد امتزجت الكلمات مع الأداء الصوتي لتصبح جزءًا من الطقس الثقافي الشعبي، ما جعل اسم الخيام متداولًا بشكل شبه يومي، سواء عبر الإذاعة، أو الحفلات، أو التسجيلات الصوتية، أو حتى الحوارات الفردية بين الناس (مندور، ١٩٥٥: ١٣٢). إن هذا التفاعل بين النص والأداء الموسيقي شكل نموذجًا للوسائط المتعددة في الشهرة الأدبية، حيث لم يعد الشاعر معروفًا فقط بالكتابة، بل أيضًا عبر الصوت والحركة واللحن.على مستوى الفن الموسيقي المجرد، ساهم عمل محمد عبد الوهاب في "موسيقى الخيام" في تقديم تجربة سمعية خالصة للنصوص، حيث أصبحت الشهرة مرتبطة بتجربة فنية مستقلة عن النصوص المقروءة، لكنه يظل مرتبطًا بعمر الخيام، ما وفّر للشاعر الفارسي أن يصبح

رمزًا ثقافيًا وفنيًا، وليس مجرد شاعر فلسفي (السعدني، ١٩٨٨: ١٥٤). ومن خلال هذا، نرى كيف أن الشهرة في مصر لم تُبنى على النص وحده، بل على شبكة من الوسائط المتعددة، بما يتوافق مع ما يراه روجر أسيلينو حول التفاعل بين النص والجمهور والوسائط المختلفة (اسيلينو، ١٩٦٠: ٦٢). وهكذا، يمكن القول إن شهرة الخيام في مصر تمثل نتاج تفاعل متكامل بين الترجمة الأدبية، والغناء، والموسيقى، والإعلام، والتعليم، والنقد، والفن البصري والدراما. لقد غدا اسم الخيام مألوفًا لدى المثقف والعامي على حد سواء، بل أصبح مرجعًا ثقافيًا وفكريًا، ورمزًا للتأمل الفلسفي، وأيقونة فنية موسيقية، ما يوضح أن الشهرة الأدبية لا تتحقق في فضاء النص وحده، بل تتطلب شبكة من الوسائط والتجارب التي تُعيد إنتاج النص عبر مستويات متعددة من الوعي الثقافي والاجتماعي. وتتضح هذه الشهرة بشكل جلي في استمرار تداول نصوص الخيام اليوم، سواء عبر الحفلات الموسيقية، أو وسائل الإعلام الحديثة، أو البرامج التعليمية، أو الأداء المسرحي والتلفزيوني، بحيث لم تعد الرباعيات مجرد تراث ثقافي أجنبي، بل صارت جزءًا لا يتجزأ من الثقافة المصرية، حاملةً فلسفة وجودية وعاطفة وجدانية، ومتاحة لكل فئات الجمهور (إسماعيل، ١٩٨٤: ١٧٥).
إذن, شهرة الخيام في مصر ليست مجرد نتيجة ترجمة أو نشر، بل هي عملية مستمرة من إعادة الإنتاج الثقافي والفني، جعلت من الشاعر الفارسي رمزًا عالميًا، حاضرًا في وجدان المجتمع المصري العام، ومتداولة عبر الوسائط المختلفة من القراءة، والغناء، والموسيقى، إلى المسرح والدراما، وصولًا إلى التداول الشعبي اليومي، بحيث أصبح اسمه جزءًا من الهوية الثقافية والفكرية للمصريين على مدى عقود طويلة (رجائي، ١٩٩٩: ٢١١).

٣. التحليل والتطبيق

تُظهر دراسة مقبولية النصوص الأدبية وفق منهج روجر إسيلينو أن الشهرة الأدبية والمقبولية ليست ناتجة عن قوة النص الأدبي وحدها، بل هي نتيجة لتفاعل معقد بين النص والجمهور والسياق الثقافي والاجتماعي والفني. وفي حالة عمر الخيام في مصر، لم تقتصر شهرته على توافق نقدي أو جمالي، بل نتجت من تداخل عدة عوامل، منها الترجمات الأدبية، الظروف الثقافية والفكرية، الوسائط الإعلامية، الدور النقدي، والتفاعل الجماهيري، وهو ما جعل رباعياته تجد صدى واسعًا لدى القراء المصريين (إسيلينو، ١٩٦٠: ٥٣).شهدت مصر في أوائل القرن العشرين تحولات ثقافية وفكرية كبيرة، حيث ارتفع الاهتمام بالأدب العالمي، وبخاصة الترجمات للنصوص الأجنبية، ما شكل بيئة خصبة لقبول أسلوب الخيام الفلسفي والوجودي، الذي تناول موضوعات الحياة والموت واللذة والعدم بأسلوب شعري رصين بعيد عن المباشرة التقليدية. وقد انعكس هذا الاهتمام على قدرة النصوص على تلبية حاجة ثقافية وفكرية ملحة لدى الجمهور المصري، إذ كان القارئ يبحث عن نصوص تعكس تساؤلاته الوجودية بطريقة متأنية وعميقة (المصدر نفسه: ٥٥)وكان للترجمة العربية للرباعيات دور محوري في نقل روح الخيام وأسلوبه الفلسفي إلى الثقافة المصرية، إذ حافظت على بساطة الأسلوب وعمق المعنى، مما ساعد القراء على استيعاب النص وتقديره، وجعل الرباعيات قابلة للقراءة والتداول على نطاق واسع (السماعنة، ٢٠١٧: ٢٢). وقد ساهمت ترجمات أحمد رامي في إضفاء طابع شعري سلس للنصوص، مما سمح للقراء العاديين بفهم الأبعاد الفلسفية للرباعيات، فضلاً عن تعزيز شهرة الخيام في الأوساط الشعبية والثقافية على حد سواء (رامي، ٢٠٠٠: ٦٥). كما لعبت وسائل الإعلام، بما فيها المجلات الثقافية والصحف، دورًا فعالًا في نشر الترجمات والمقالات النقدية حول الخيام، ما أتاح لجمهور واسع التعرف على نصوصه وربطها بفكر أوسع حول الأدب العالمي والفلسفة الشرقية (هلال، ١٩٧٣: ٤٦). وقد ساهمت دور النشر في دعم هذا الاهتمام، إذ تبنت نشر الترجمات العربية للرباعيات، ما عزز من حضور الخيام الأدبي في مصر، على غرار ما تفعله دور النشر الفرنسية مع نصوص الأدب الغربي الكلاسيكي (الجندي، ١٩٨٥: ٥٨)ويظهر أثر التأثيرات الأدبية المتبادلة جليًا عند ربط النقاد المصريين بين أسلوب الخيام وروح الشعر العربي القديم، وبين فلسفة الحياة والوجود في التراث الإسلامي، حيث اعتبروا مقاربته للوجود واللذة والقدر امتدادًا للتقاليد الفكرية والأدبية المحلية، وهو ما ساعد على تقبّل النص وإدماجه في الذائقة الثقافية المصرية (الضيف، ١٩٨٣: ٢١١). وقد أبرز النقاد كذلك قدرة الرباعيات على الجمع بين الفلسفة والشعر، وهو ما جعلها جذابة لمختلف الفئات، بدءًا من المثقف الباحث عن عمق فلسفي، وصولاً إلى الجمهور العام الباحث عن نصوص سهلة القراءة وغنية بالمعنى (عبد الصبور، ١٩٨٠: ٥٤). وكان لتوقيت ظهور الترجمات أثر بالغ على قبول النصوص، إذ جاءت في فترة ازدهار التعليم والصحافة الثقافية، مع انفتاح على الفكر العالمي، ما أتاح للقراء المصريين التعرف على الرباعيات بسرعة وربطها بتجربتهم الفكرية الخاصة، كما لعب النقاد دورًا بارزًا في إبراز العمق الجمالي والفكري للرباعيات، بالتوازي مع اهتمام الجمهور الذي وجد فيها تعبيرًا عن التساؤلات الوجودية والفلسفية التي كانت تهمه (المصدر نفسه: ٥٦). ولا يمكن إغفال دور الموسيقى والغناء في شهرة الخيام في مصر، إذ عملت ألحان محمد عبد الوهاب على تقديم نصوص الخيام بطريقة مسموعة، تسمح للمستمعين بتجربة النصوص شعوريًا وفكريًا في الوقت نفسه (السعدني، ١٩٨٨: ١٥٤). أما أم كلثوم فقد ساهمت في نقل الرباعيات إلى الوجدان المصري العام من خلال غنائها للنصوص المترجمة، بتلحين رياض

السنباطي الذي مزج بين المقامات الشرقية والأسلوب الغربي، ما خلق تجربة فنية متكاملة أدت إلى تعزيز شهرة النصوص على نطاق شعبي واسع (رجائي، ١٩٩٩: ٢١١)وعلى مستوى التعليم، ساهم إدراج بعض رباعيات الخيام في المناهج المدرسية ضمن مادة "الأدب العالمي" في ترسيخ معرفتها لدى الأجيال الشابة، ما أتاح للطلاب تداولها يوميًا داخل الفصول الدراسية وخارجها، وربط اسم الخيام بالثقافة العامة، حتى لدى من لم يقترب من النصوص الفارسية الأصلية أو الترجمات التفصيلية (عبد المقصود، ٢٠١٧: ٨٠). بالإضافة إلى ذلك، لعب النقد الأدبي والفني دورًا مهمًا في دعم شهرة الخيام، إذ رأى النقاد أن الرباعيات تجمع بين الفلسفة والشعر، وأنها تعكس روحًا فلسفية وجودية، كما لاحظوا قدرة النصوص على مزج الحكمة بالعمق الشعوري، ما جعلها مقبولة في الذائقة المصرية ومرتبطة بالقيم الفكرية والاجتماعية للجمهور (الهاشمي، ٢٠١٨: ١٤٤). من جانب آخر، ساهم الحراك الثقافي وتأثر القراء بالحداثة في تعزيز مقبولية النصوص، إذ وجدوا توازنًا بين الأصالة الفارسية والقدرة على التعبير عن تساؤلات العصر، مع ملاحظة تأثير الفكر الغربي الحديث على الثقافة المصرية، ما خلق أرضية خصبة لقبول النصوص الفلسفية والأدبية (علي، ٢٠٢٠: ١٠١). كما لعبت بساطة الأسلوب وعمقه في الرباعيات دورًا كبيرًا في سهولة فهم النصوص واستيعابها من قبل جمهور واسع، وفي الوقت نفسه تحمل طبقات أعمق من المعنى يمكن استكشافها من قبل القراء الأكثر خبرة، ما ساهم في تثبيت قيمة النص الأدبية والفكرية (المصدر نفسه: ٦٦)وفي هذا السياق، كان للحياة الشخصية للخيام كشاعر وفيلسوف وعالم رياضيات تأثير في جذب اهتمام القراء المصريين، إذ ارتبطت صورته الرمزية بالتأمل الفلسفي والمعرفة الواسعة، ما انسجم مع ذائقة الجمهور المتطلع للمعرفة والتأمل، وحقق مزيدًا من المقروئية والقبول الجماهيري (إسماعيل، ١٩٨٤: ١٧٥). وقد ساهمت الأعمال التلفزيونية والمسرحية التي تناولت الخيام أو اقتبست أفكاره في توسيع نطاق شهرته، إذ مثلت هذه الأعمال فرصة لتقديم صورة متكاملة للشاعر والفيلسوف، وبذلك أصبح الخيام شخصية مرئية وموضوعًا للنقاش الثقافي والفكري وليس مجرد اسم على صفحات الكتب (صالح، ١٩٩٣: ١٠١)كما ظهر تأثير التفاعل بين النص والأداء الموسيقي في الشهرة الأدبية، إذ امتزجت الكلمات مع الأداء الصوتي لتصبح جزءًا من الطقس الثقافي الشعبي، ما جعل اسم الخيام متداولًا بشكل شبه يومي عبر الإذاعة، الحفلات، التسجيلات الصوتية، أو حتى الحوارات الفردية بين الناس (مندور، ١٩٥٥: ١٣٢). وبذلك لم تعد شهرة الخيام قائمة على النص وحده، بل على شبكة من الوسائط المتعددة بما يتوافق مع مفهوم إسيلينو حول التفاعل بين النص والجمهور والوسائط المختلفة (المصدر نفسه: ٦٧)يُمكن القول إن شهرة الخيام في مصر ليست مجرد نتيجة لترجمات أو نشر النصوص، بل هي عملية مستمرة لإعادة الإنتاج الثقافي والفني، حيث أصبح الشاعر رمزًا عالميًا، حاضرًا في وجدان المجتمع المصري العام، ومتداولًا عبر الوسائط المختلفة من القراءة والغناء والموسيقى إلى المسرح والدراما وصولًا إلى التداول الشعبي اليومي، بحيث صار اسمه جزءًا من الهوية الثقافية والفكرية للمصريين على مدى عقود طويلة (الجندي، ١٩٨٥: ٥٨).

٣-١ أسباب مقبولية الخيام عند المصريين

إنّ مقبولية عمر الخيام في مصر تمثّل إحدى أبرز الظواهر الأدبية والثقافية في القرن العشرين وما بعده، حيث اجتمعت عوامل الترجمة والفن والموسيقى والنقد والتعليم والدراما على صياغة حضور خاص للخيام في الوجدان المصري. لم يعد الخيام مجرد شاعر فارسي مترجم، بل تحوّل إلى "صوت ثقافي" يتردد في الغناء، ويُدرّس في المدارس، ويُستشهد به في المقالات، ويُستحضر في النقاشات الفكرية والفنية، ما يجعله حالة فريدة في تاريخ التداخل الثقافي بين الأدب الفارسي والبيئة العربية الحديثة (رامي، ١٩٥٢: ٣٣).كان مدخل المصريين الأول إلى الخيام هو الترجمة، وتحديدًا عبر أحمد رامي الذي يُعدّ الجسر الثقافي الأبرز بين النص الفارسي والجمهور المصري. فقد درس رامي الفارسية في باريس، ثم عاد ليترجم رباعيات الخيام سنة ١٩٢٤، وأعاد تنقيحها مرات عدة، حتى صارت هي المرجع الأكثر انتشارًا عربياً. وقد أدرك رامي أن النص المترجم لا بد أن يتكيّف مع أفق توقع الجمهور، فابتعد عن الحرفية الجامدة، وأعاد إنتاج الرباعيات بروح عربية تمزج بين الفصاحة والشفافية. بهذا منحها نغمة مصرية قريبة من الذائقة المحلية، فجعلها أقرب إلى "المقطوعات الحكمية" التي عرفها التراث العربي من المتنبي وأبي العلاء المعري، ما حول الترجمة إلى إعادة خلق شعري لا مجرد نقل لغوي .ومن هنا يمكن فهم ما قصده روجر اسيلينو حين أكد أن مقبولية النص تتأسس على "قدرة المترجم أو الوسيط الثقافي على إعادة صياغة النص بما ينسجم مع الأفق التاريخي والجمالي للجمهور الجديد"(نفسه: ٧٢). ولهذا كله قام رامي بعملية تكييف ثقافي، حيث قدّم صور الخيام بلغة مألوفة، مثل مخاطبة المستمع مباشرة بعبارات من قبيل:

لا تشغل البال بأمر القدر
واسمع حديثي يا قصير النظر
واسمع حديثي يا قصير النظر
وانظر إلى لعب القضا بالبشر (رامي، ٢٠٠٠: ٦٥).

نرى لغة (واسمع حديثي يا قصير النظر) لغة شديدة القرب من التعبير اليومي المصري الدارج , لكن الترجمة وحدها لم تكن كافية، إذ سرعان ما وجدت الرباعيات طريقها إلى فضاءات أوسع من خلال الموسيقى, والغناء. فقد لحن محمد عبد الوهاب عددًا من الرباعيات مستخدمًا المقامات الشرقية ومزجها بالأسلوب الغربي، ما جعلها أكثر قربًا من وجدان المستمع المصري (صالح، ١٩٩٣: ١٥٨). ثم جاءت أم كلثوم سنة ١٩٤٩ لتغني رباعيات الخيام من ألحان رياض السنباطي، حيث تحولت النصوص إلى حكم غنائية تتردّد في البيوت والمقاهي، بحيث انتقلت من كونها نصوصًا فلسفية مجردة إلى تجربة وجدانية شعبية. يقول أحد الأبيات المغنّاة:((واسمَعْ حديثي يا قصيرَ النظرْ)) (رامي، ٢٠٠٠: ٦٥). هذا الشطر يكشف عن كيفيات التوطين الثقافي للنصوص؛ إذ تحولت لغة الفلسفة المجردة إلى خطاب وجداني مألوف، وصارت الأسئلة الوجودية مادةً للغناء الجماهيري. وهذا ما يفسّر ما ذهب إليه اسيلينو بأن النص الأدبي يصبح أكثر قبولًا حين يُعاد إنتاجه في وسائط متعددة (اسيلينو، ١٩٦٠: ٦٢). لقد كان للغناء إذن الدور الأبرز في جعل الخيام "شاعرًا جماهيريًا" في مصر، حيث انفتح النص على جمهور عريض لم يكن ليقرأه في الكتب. وهو ما تجلى في حضور الرباعيات في المقاهي والاحتفالات، حتى صارت بعض مقاطعها أمثالًا شعبية متداولة.على المستوى النقدي، أولى النقاد المصريون اهتمامًا بالخيام باعتباره شاعرًا وفيلسوفًا معًا. فقد أشار محمد غنيمي هلال إلى أن الرباعيات ليست مجرد شعر غنائي، بل هي نصوص تحمل فلسفة وجودية شعرية تبحث في معنى الحياة والقلق من المصير , اعتبر صلاح عبد الصبور أن الخيام يزاوج بين حكمة الفيلسوف وجمالية الشعر، وهو ما جعله قريبًا من وجدان المثقف المصري الذي كان يسعى في منتصف القرن العشرين إلى الموازنة بين الأصالة والمعاصرة (عبد الصبور، ١٩٨٠: ٥٤). ومن جهة أخرى، لاحظ شوقي ضيف أن الرباعيات استطاعت أن تجد لنفسها مكانًا ضمن مسار الأدب العربي الحديث لأنها تجيب عن أسئلة الإنسان في عصر التحولات (ضيف، ١٩٨٣: ٢١١).إلى جانب النقد، كان للمؤسسات التعليمية والثقافية دور كبير في ترسيخ الخيام داخل المشهد الثقافي المصري. فقد ضمّت وزارة التربية والتعليم بعض الرباعيات إلى مناهج المرحلة الثانوية تحت عنوان "الأدب العالمي"، ما جعل الأجيال الجديدة تتعرف إلى الخيام من خلال المدرسة (عبد المقصود، ٢٠١٧: ٨٠). حيث خصصت الصحف والمجلات الأدبية مقالات مطولة عنه، بوصفه جزءًا من الأدب العالمي، لا مجرد شاعر فارسي. أما على مستوى الشكل، فقد ساعدت بنية الرباعية نفسها في تعزيز المقبولية. فهي مقطوعة شعرية قصيرة ومركّزة، أقرب إلى الأشكال المألوفة في الثقافة المصرية مثل الزجل والحكمة والأغنية القصيرة. وهذا التشابه جعلها سهلة الاستيعاب وسريعة الانتشار بين الجمهور (الجندي، ١٩٨٥: ٢١٤). وهو ما أتاح للنصوص أن تنتقل من النخبة إلى عامة الناس، وتصبح جزءًا من التداول اليومي. ولم يقتصر حضور الخيام على النصوص المقروءة والمغنّاة، بل امتد إلى الدراما والأعمال البصرية. فقد تناولته أعمال تلفزيونية مثل مسلسل عمر الخيام (٢٠٠٢) وأعمال أخرى عالجت صورته الفكرية والعلمية (الهاشمي، ٢٠١٨: ١٤٤). في هذه الأعمال، لم يظهر الخيام كشاعر فحسب، بل كمفكر يواجه قضايا السلطة والتطرف، وهو ما منحه راهنية جديدة في النقاش الثقافي المصري المعاصر (علي، ٢٠٢٠: ١٠١).إنّ مجمل هذه العوامل تُظهر أن مقبولية الخيام في مصر لم تكن عملية قبول بسيطة، بل كانت عملية تفاعل معقدة ومتعددة الأبعاد، تجسّد رؤية روجر اسيلينو بأن "القبول الأدبي ليس حدثًا فرديًا، بل شبكة من الوسائط والظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي تحدد أفقه" (اسيلينو، ١٩٦٠: ٤٢). فقد اجتمعت الترجمة، والغناء، والنقد، والتعليم، والدراما، لتصنع مقبولية متكاملة، جعلت الخيام يتجاوز حدود لغته الأم ليصبح جزءًا من الهوية الثقافية المصرية والعربية والعالمية. ومن هنا نستطيع القول إن الخيام في مصر تحوّل من شاعر فارسي إلى رمز ثقافي عربي مصري، تعايش مع الأجيال المتعاقبة من خلال النصوص المترجمة، والأغاني، والمناهج التعليمية، والدراما. إن هذه التجربة توضح أن النصوص العميقة حين تُعاد صياغتها وتُقدَّم بوسائط متعددة تتوافق مع أفق انتظار الجمهور، فإنها قادرة على أن تتحول إلى جزء أصيل من الذاكرة الثقافية لشعب آخر.فقد ساعدت إعادة إنتاج رباعيات الخيام عبر صوت أم كلثوم، وصياغة أحمد رامي الشعرية، وألحان رياض السنباطي على ترسيخ مقبولية هذا الشاعر الفارسي في الوعي المصري. وبهذا، انتقلت الرباعيات من نصوص فلسفية مترجمة إلى أعمال فنية حيّة تُردد في البيوت والمقاهي والمسارح، متجذّرة في الثقافة الشعبية المصرية. ويؤكد هذا الامتزاج بين الشعر والموسيقى والغناء أن القبول الأدبي لا يتحقق في فضاء النص وحده، بل يحتاج إلى وسائط جمالية واجتماعية تُعيد تشكيله بما يتناسب مع الأفق الثقافي المحلي. وقد جاء هذا التفاعل بعد أن شهدت مصر في القرن العشرين حضورًا مميزًا لعمر الخيام، حتى صار شاعر الرباعيات جزءًا من المشهد الثقافي والفني العربي، ولم يكن هذا الحضور مقتصرًا على الدوائر النخبوية فحسب، بل امتد إلى الجماهير العريضة عبر قنوات متعددة أبرزها الفن والموسيقى والغناء (هلال، ١٩٧٣: ٤٥)لقد أدرك أحمد رامي، وهو أحد أبرز شعراء مصر في القرن العشرين، أن ترجمة رباعيات الخيام إلى اللغة العربية ليست مجرد نقلٍ لغويٍ من الفارسية إلى العربية، بل هي عملية إبداعية تتطلب تفاعلاً عميقًا مع روح النص وثقافة الجمهور الجديد. لذلك لم يكتفِ بالترجمة الحرفية، بل عمد إلى تكييف النصوص الخيامية وفق الحسّ الجمالي والعاطفي المصري، فصاغها بلغةٍ شفافةٍ مشبعةٍ بالعاطفة، وبأسلوبٍ

يجمع بين البساطة والعمق الفلسفي. جاءت عباراته قريبة من روح الحكمة الشعبية المصرية، مما جعل الرباعيات تبدو وكأنها نتاج الوجدان العربي نفسه، لا نصًّا وافدًا من ثقافة أخرى. وفي إحدى رباعياته يقول: «واسمَعْ حديثي يا قصيرَ النظرْ» (رامي، ٢٠٠٠: ٦٥)، وهي نموذج لقدرته على تحويل التأمل الفلسفي إلى خطابٍ وجداني مباشر يُحاكي تجربة الإنسان اليومية، ويعبّر عنها بلغة مألوفة تجمع بين العظة والرقة الشعرية.لقد جسّد رامي من خلال ترجمته فكرة روجر اسيلينو حول مقبولية النص الأدبي، إذ يرى اسيلينو أن النص لا يُقبل إلا إذا انسجم مع أفق توقعات الجمهور وأعرافه الثقافية. فترجمة رامي لم تكن مجرد جسر لغوي، بل كانت إعادة خلق ثقافي جعلت من الخيام شاعرًا مفهومًا ومحبوبًا لدى المصريين، بعدما كانت فلسفته الوجودية تبدو في الأصل غريبة أو بعيدة عن المزاج الشعبي (السمعانة، ٢٠١٧: ١٥٦). ومن خلال هذا التفاعل، استطاع رامي أن يقدّم نموذجًا لما يمكن أن نسميه "توطين النص الأدبي"، أي نقله من سياقه الأصلي إلى سياق جديد من دون فقدان روحه.ثم جاءت أم كلثوم لتكمل هذا المسار الإبداعي، فكانت بمثابة الوسيط الفني الذي نقل الرباعيات من صفحات الكتب إلى وجدان الملايين. لقد غنّت الرباعيات بصوتها الآسر، وبتلحين عبقري من رياض السنباطي، فامتزج الشعر بالموسيقى، وتحوّلت الفلسفة إلى تجربة شعورية جماعية. أصبحت أغنية رباعيات الخيام حدثًا ثقافيًا متجددًا، جمعت بين عمق المعنى ورهافة الأداء وجمال اللحن، حتى صارت بعض أبياتها تُتداول كأمثالٍ أو حكمٍ في الحياة اليومية. وبهذا الانتقال من النص المقروء إلى النص المغنّى، انتشرت فلسفة الخيام في الأوساط الشعبية، فدخلت إلى البيوت والمقاهي والمسارح، وتحوّلت من تأملات فكرية إلى حكم مغنّاة تعبّر عن صراع الإنسان بين اللذة والزمن، وبين الحيرة والإيمان.هذا الامتزاج بين الشعر والترجمة والغناء يعبّر عن طبيعة المقبولية الأدبية كما وصفها النقاد المصريون، ومنهم محمد مندور، الذي أكد أن النصوص المغنّاة تمتلك قدرةً مضاعفة على الوصول إلى الجمهور، لأنها تعتمد على وسائط صوتية وموسيقية تحرك العاطفة قبل أن تخاطب العقل، فتصبح أكثر تأثيرًا واستقرارًا في الذاكرة الثقافية (مندور، ١٩٥٥: ١٣٢). وهكذا، فإن تضافر جهود رامي وأم كلثوم والسنباطي مثّل لحظة فارقة في تاريخ تلقي رباعيات الخيام، إذ تحوّلت من نص فلسفي مترجم إلى أيقونة فنية تمثل التقاء الشرقين: الفارسي والعربي، في وجدانٍ مصريٍ واحد. وفي سياق التفاعل بين الشعر الفارسي والموسيقى العربية، يُعد تلحين "رباعيات الخيام" من قِبل الموسيقار رياض السنباطي أحد أبرز المحطات التي جسّدت هذا التلاقح الثقافي. تُعد أغنية «سمعت صوتًا هاتِفًا في السَّحَر» من أهم أعمال أم كلثوم، حيث قدّمت فيها مجموعة من رباعيات الشاعر الفارسي عمر الخيام التي ترجمها أحمد رامي إلى العربية. تم تلحين هذه الرباعيات على مقام الراست، وقدّمت لأول مرة في ٧ ديسمبر ١٩٥٠، لتصبح واحدة من أشهر أغاني أم كلثوم، وتحقق انتشارًا واسعًا بين الجمهور العربي، ما ساهم في تعريفهم بفلسفة الخيام وأفكاره الوجودية.تُظهر ألحان السنباطي في رباعيات الخيام عمقًا موسيقيًا متناغمًا مع الروح الصوفية التي تميّز بها شعر الخيام، حيث استخدم تقنيات موسيقية تُعبّر عن التوتر بين الفناء والخلود، وهو ما منح الأغنية طابعًا دراميًا مؤثرًا. وقد وصفها النقاد بأنها «أغنية فلسفية» تُجسّد تأملات الخيام في الحياة والموت، فيتفاعل معها المستمع وجدانيًا وفكريًا في آن واحد (رجائي، ١٩٩٩: ٢١١). وعلى الجانب الآخر، قدّم محمد عبد الوهاب عملًا موسيقيًا بعنوان «موسيقى الخيام» عام ١٩٦٢، وهو عملٌ تصويري يعكس أجواء وأفكار رباعيات الخيام دون كلمات، مستخدمًا مقاماتٍ شرقيةً أصيلةً مثل الراست والسنجاري لتجسيد التوتر الوجودي بين الأمل واليأس، وبين الزمان والمصير. وبذلك حوّل عبد الوهاب النصوص الشعرية إلى تجربةٍ سمعيةٍ خالصةٍ تعبّر عن الفلسفة الخيامية بأسلوبٍ موسيقيٍ صرف، مما أتاح للمتلقي أن يعيش تجربة وجدانية وفكرية متكاملة (السعدني، ١٩٨٨: ١٥٤)يتّضح من هذين العملين أنّ الموسيقى العربية استطاعت أن تُجسّد العمق الفلسفي في الفكر الفارسي، وأن تعبّر بصدق عن قدرة الفنانين العرب على التفاعل الخلّاق مع التراث الثقافي المتنوّع. فبينما قدّم رياض السنباطي قراءة موسيقية للكلمات عبّرت عن روح الرباعيات، اختار محمد عبد الوهاب أن يقدّم رؤية موسيقية خالصة بلا كلمات، تعبّر عن الجوهر التأملي للفكر الخيامي. ويبرز من خلال هذين الاتجاهين تنوّع الأساليب الإبداعية في توظيف التراث الفني وتحويله إلى تجربة جمالية قادرة على الوصول إلى المتلقي العربي. وقد أشار النقاد المصريون إلى أن هذه التجربة الفريدة جعلت من عمر الخيام جزءًا لا يتجزأ من المشهد الثقافي المصري. ويرى شكري عياد أن الرباعيات، حين اكتست باللحن والغناء، أصبحت مرآةً للمزاج المصري، لأنها جمعت بين التأمل الفلسفي والعاطفة الوجدانية، وهو ما يفسّر قبول الجمهور لها رغم أصولها الفارسية (عياد، ١٩٧٨: ٢١١). كما ذهب غنيمي هلال إلى أن تفاعل النص مع الفن الغنائي حوّله إلى "نص ثقافي" متداول في الوعي الجمعي، يعاد إنتاجه عبر الأجيال في الذاكرة الشعبية (هلال، ١٩٧٣: ٤٦). وهكذا يمكن القول إن مقبولية الخيام في مصر لم تكن وليدة الصدفة، بل ثمرة جهد جماعي شارك فيه المبدعون والنقاد والجمهور على حدٍّ سواء، مما جعل رباعياته حيّة في وجدان الثقافة العربية.

سمعت صوتا هاتفا في السحر

نادى من اغيب غفاة البشر

هبوا املأوا كأس المنى

قبل أن تفعم كأس العمر كف القدر(رامي, ٢٠٠٠: ٣٣)

إن هذه الرباعية التي صاغها أحمد رامي عن الأصل الخيامي تكشف بوضوح عن البنية العميقة التي جعلت رباعيات الخيام مقبولة وفاعلة في الثقافة المصرية. فالنص، في جوهره، يحمل خطابًا فلسفيًا عن الزمن والفناء، لكنه يُقدَّم في صورة شعرية بسيطة ومباشرة، تتراوح بين نداء صوفي غامض وبين حكمة مألوفة في الوعي الشعبي. وهذا التوازن هو الذي سمح للنص بأن يتحول إلى مادة غنائية أدتها أم كلثوم بلحن رياض السنباطي، فغدا النص محمّلًا بطاقة مزدوجة: دلالية وجمالية في آن واحد. فعندما تُغنى عبارة "هبوا املأوا كأس المنى" أمام الجمهور، لا تُقرأ فقط كرمز صوفي للحياة العابرة، بل يمكن أن تُفهم أيضًا كتعبير وجداني يدعو إلى اغتنام لحظة الفرح قبل أن ينقضي العمر. بهذا المعنى، يظهر كيف تتعدد مستويات القبول، ويبرز ما أشار إليه روجر اسيلينو في حديثه عن "تعددية الأبعاد في مقبولية النص الأدبي"، إذ إن النص الواحد قادر أن يُقدَّم للمستقبِل الشعبي و المثقف بآن واحد (اسيلينو، ١٩٦٠: ٦٢)وقد ساعدت الصياغة الرامية على تقريب النص من الذائقة المصرية، إذ استخدم تراكيب مألوفة مثل "غفاة البشر" و"كف القدر"، وهي صور تمزج بين التراث الديني واللغة اليومية، لتمنح النص طابعًا محليًا قريبًا من الأمثال والزجل المصري. وعندما جاء الأداء الكلثومي، غدا النص حدثًا فنيًا، حيث القوة الصوتية لأم كلثوم منحت هذه الكلمات بعدًا دراميًا جعلها حاضرة في وجدان الجمهور. ونجد أن رياض السنباطي صاغ اللحن بطريقة تحافظ على البنية التأملية للنص، وتفتح المجال للإحساس بالرهبة من الزمن والفناء، وهو ما جعل الرباعية تنجح كرسالة فلسفية، وكأغنية في آن واحد. هنا يتجسد دور الفن في تحويل النص الأدبي إلى "حدث ثقافي" متكامل، تنتقل فيه الفكرة من نص مكتوب إلى غناء مسموع، ومن فردية التأمل إلى جماعية القبول (عبد الغني، ٢٠٠٦: ١٠١). وما يميز هذه الرباعية بالذات أنها تعكس بوضوح ثنائية "الفناء واللذة"، وهي ثنائية أساسية في مشروع الخيام الشعري. لكن حضورها في مصر أخذ شكلًا أكثر قربًا من الحياة اليومية، لأن المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين كان يعيش تحولات اجتماعية وثقافية كبرى، جعلته أكثر استعدادًا ترحيب بنصوص فلسفية مغناة. وبهذا تحقق ما يسميه النقاد بعملية "التوطين الثقافي"، أي أن النص لم يعد غريبًا أو مترجمًا فحسب، بل صار جزءًا من الخطاب المحلي، بحيث يردده الناس في حفلاتهم ووجدانهم وكأنه جزء من تراثهم الأدبي. وهنا تتضح دقة ملاحظة الدكتور عز الدين إسماعيل الذي أكد أن الرباعيات لم تبق مجرد نصوص مترجمة، بل غدت نصوصًا مغناة تحمل هوية مزدوجة: فارسية الأصل، مصرية القبول (إسماعيل، ١٩٨٤: ١٧٥).وإذا كان الخيام قد كتب نصوصه بوحي من تجربة الوجود والعدم في بيئة فارسية قبل قرون، فإن مصر القرن العشرين أعادت إنتاجه عبر تضافر ثلاثة عناصر: الشعر الذي أعاد رامي صياغته بما يلاءم الذائقة المحلية، الغناء الذي حملته أم كلثوم إلى فضاء جماهيري واسع، والموسيقى التي أبدعها رياض السنباطي, فأعطت النص بعده الوجداني العميق. هذا التكامل جعل الخيام حاضرًا في الحياة المصرية، لا بوصفه شاعرًا مترجمًا فحسب، بل كمبدع عالمي يشارك المصريون في إعادة تشكيل صورته. ولعل استمرار تداول هذه الرباعيات حتى اليوم، سواء في الحفلات أو عبر وسائل الإعلام والوسائط الحديثة، دليل على أن النصوص الخيامية تجاوزت حدود اللحظة التاريخية التي استُقدمت فيها، لتصبح جزءًا دائمًا من الذاكرة الثقافية المصرية

٤. النتائج

شهدت مصر منذ مطلع القرن العشرين اهتمامًا متزايدًا بأدب عمر الخيام، حتى غدا شاعر الرباعيات جزءًا من الذاكرة الثقافية والفنية المصرية. وقد تضافرت مجموعة من العوامل في تعزيز مقبوليته، شملت الترجمة والفن الغنائي والتلحين والدورين الثقافي والاجتماعي، إلى جانب انتشار الرباعيات عبر الوسائط الرقمية والوسائل الشعبية. كما ساهمت التفاعلات الفكرية بين الثقافتين الإيرانية والمصرية في ترسيخ حضور الخيام داخل الذائقة الأدبية المصرية. وفي ضوء البحث، يمكن تلخيص النتائج الرئيسة في النقاط الآتية:**أولًا**: بيّن تطبيق منهج روجر أسيلينو في دراسة مقبولية شعر عمر الخيام الأبعادَ المتعددة لهذه الظاهرة، وأوضح أن مقبولية النص الأدبي لا تتشكل من عاملٍ واحد، بل هي نتاج تفاعلٍ متشابك بين النص والمتلقي والسياقين الثقافي والاجتماعي. ومن خلال منظور أسيلينو التحليلي الذي يقوم على تعددية المعايير (كالتوقيت، والجمهور، والوسيط، والسياق الثقافي)، أمكن التوصل إلى فهمٍ أعمق لاستقبال الخيام في مصر، إذ اتضح أن الذائقة المصرية لم تتجه نحوه عفوًا، بل نتيجة لتكامل عناصر النص مع حاجات المتلقي الفكرية والجمالية. وقد أثبت هذا المنهج فاعليته في تفسير ظواهر المقبولية الأدبية ضمن البيئات العربية الحديثة.**ثانيًا**: أظهرت الدراسة أن ترجمة أحمد رامي كانت العامل الأبرز في نقل روح الخيام إلى العربية، إذ اتسمت بالقدرة على الجمع بين الدقة اللغوية والثراء الفني، فحافظت على عمق النص الأصلي وجمالياته، مع تكييفه بما يتناسب مع الذوق المصري. وقد أضفت هذه الترجمة على الرباعيات طابعًا إنسانيًا وشعريًا جعلها قريبة من وجدان القارئ المصري، وأسهمت في توسيع انتشارها وتعزيز حضورها في الوسط الثقافي والأدبي.

ثالثًا: أوضحت النتائج أن المجتمع المصري كان بحاجةٍ إلى أدبٍ بعمق تجربة عمر الخيام ليثري تجربته الأدبية والفكرية، ويعبّر عن تساؤلاته الوجودية في ظل التحولات الحديثة. وقد لبّى شعر الخيام هذه الحاجة الأدبية والاجتماعية معًا، فكان مرآةً لقلق الإنسان المصري وتساؤلاته حول الحياة والمصير، وهو ما جعله يحظى بقبولٍ واسعٍ وانتشارٍ مستمرّ داخل الأوساط الفكرية والفنية.**رابعًا:** بيّنت الدراسة أن المطربة أم كلثوم أدّت دورًا محوريًا في ترسيخ مقبولية الخيام في مصر، إذ اختارت من رباعياته نصوصًا تتناسب مع الذائقة الفنية المصرية، وقدّمتها بصوتها القوي المعبّر الذي منح النص بعدًا وجدانيًا وفلسفيًا في آنٍ واحد. كما أسهم حضورها الإذاعي والتلفزيوني المتواصل في إيصال الرباعيات إلى مختلف شرائح المجتمع، مما جعل مصر الدولة العربية الأولى في تبنّي شعر الخيام فنيًا وثقافيًا. وأن الوسائط الرقمية الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي أدّت دورًا جديدًا في إعادة إحياء رباعيات الخيام في مصر، من خلال تداول المقتطفات الشعرية والمقاطع الغنائية والنقدية. هذا الانتشار الرقمي أتاح تفاعلًا مباشرًا بين النص والمتلقي، وساهم في تعزيز شعبيتها وتوسيع دائرة التلقي الأدبي والفني في الأوساط الشبابية.**خامسًا:** أظهرت الدراسة أن مقبولية عمر الخيام في مصر لم تكن مجرد ظاهرة لغوية أو أدبية، بل نتجت عن تفاعل مركب بين النص الفلسفي والواقع الاجتماعي والثقافي المصري. فقد أتاح المناخ الفكري المصري في القرن العشرين، الذي تميز بالنهضة الأدبية والانفتاح على التراث الإنساني، بيئة مناسبة لاستقبال الخيام كشاعر يحمل رؤى إنسانية شاملة. كما أن الطبيعة التأملية والرمزية للرباعيات جعلت الجمهور المصري يتفاعل معها في ضوء تساؤلاته حول الوجود والمصير، ما أسهم في ترسيخ حضورها داخل المشهد الثقافي.**سادسًا:** أظهرت النتائج أن الترجمة لعبت دورًا محوريًا في تعزيز مقبولية الخيام، إذ لم تكن مجرد نقل لغوي، بل عملية إعادة إنتاج للنص وفق الحس الجمالي المصري. على سبيل المثال، مثّلت ترجمة أحمد رامي تحوّلًا نوعيًا في استقبال النص، حيث منحته روحًا عربية موسيقية مشبعة بالعاطفة والرمزية، ما جعل الرباعيات قريبة من وجدان المتلقي العام. كذلك، أضافت الأغاني التي غنتها أم كلثوم على ألحان رياض السنباطي ومحمد عبد الوهاب بعدًا شعبيًا ساهم في توسيع دائرة القبول لتشمل عامة الناس، ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين جودة الترجمة ومدى انتشار النص بين الجمهور.**سابعًا:** أظهرت الدراسة أيضًا أن مقاربة مقبولية الخيام ضمن منظور ديناميكي، وفق رؤية روجر أسيلينو، توفر فهمًا متكاملًا لتجدد النص في بيئة جديدة. فقد أُعيد تأويل النص الفارسي الأصلي بما يتوافق مع القيم الجمالية والفكرية المصرية الحديثة، ولم يُنظر إليه كعمل جامد. علاوة على ذلك، شكل النقاد والمترجمون والفنانون وسائط متعددة لإعادة إنتاج المعنى، ما يدل على أن مقبولية الخيام ليست نتيجة خصائص النص وحدها، بل ثمرة تفاعل مستمر بين النص والمجتمع المتلقي ضمن سياق ثقافي متحول.

قائمة المصادر والمراجع:

١. إسماعيل، عز الدين .(١٩٨٤) .الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية (ط. ٣). دار الفكر العربي.

٢. إسيلينو، روجر .(١٩٦٠) .المقبولية الأدبية: دراسة في نظرية التلقي والنص .منشورات السوربون.

٣. الجندي، أنور .(١٩٨٥) .الأدب العربي في مصر الحديثة .دار الفكر العربي.

٤. رجائي، عبد الحميد .(١٩٩٩) .الموسيقى العربية الحديثة وتأثيرها في الوعي الثقافي .الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥. رامي، أحمد .(٢٠٠٠) .رباعيات الخيام: ترجمة أحمد رامي .دار المعارف.

٦. السعدني، محمود .(١٩٨٨) .محمد عبد الوهاب: الموسيقى والإنسان .دار الشروق.

٧. السمعانة، نجلاء. (٢٠١٧). الترجمة والتوطين الثقافي: دراسة في رباعيات الخيام .مجلة دراسات الترجمة والأدب.

٨. صالح، مصطفى .(١٩٩٣) .الموسيقى والغناء في الأدب العربي الحديث .الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٩. ضيف، شوقي .(١٩٨٣) .الفكر والشعر العربي في العصر الحديث .دار المعارف.

١٠. عبد الصبور، صلاح .(١٩٨٠) .رحلة الضمير المصري في الشعر الحديث (ط. ٢). دار الهلال.

١١. عبد الغني، سامي .(٢٠٠٦) .الفن والمجتمع في مصر الحديثة .دار الفكر المعاصر.

١٢. عبد المقصود، محمد .(٢٠١٧) .الأدب العالمي في المناهج المصرية: دراسة تحليلية .المركز القومي للبحوث التربوية.

١٣. علي، حسن .(٢٠٢٠) .الفكر الوجودي في الأدب العربي الحديث .مكتبة الأنجلو المصرية.

١٤. عياد، شكري .(١٩٧٨) .مدخل إلى علم الجمال الأدبي .دار المعارف.

١٥. فيتزجيرالد، إدوارد .(١٩٢٩) .رباعيات عمر الخيام (الطبعة المنقحة). دار جورج هاراب وشركاه.

١٦. مندور، محمد .(١٩٥٥) .النقد المنهجي عند العرب .دار المعارف.

١٧. الهاشمي، ناصر. (٢٠١٨). صورة الخيام في الدراما العربية المعاصرة .مجلة الفنون والآداب، (12).
١٨. هلال، محمد غنيمي .(١٩٧٣) .الأدب المقارن: أصوله وتطوره .دار نهضة مصر.

References

1. Ismail, Ezz El-Din. (1984). *Contemporary Arabic Poetry: Its Issues, Artistic and Moral Phenomena* (3rd ed.). Dar Al-Fikr Al-Arabi.
2. Eshelino, Roger. (1960). *Literary Acceptability: A Study in Reception Theory and Text*. Sorbonne Publications.
3. El-Gendi, Anwar. (1985). *Arabic Literature in Modern Egypt*. Dar Al-Fikr Al-Arabi.
4. Ragai, Abdel Hamid. (1999). *Modern Arabic Music and Its Impact on Cultural Awareness*. Egyptian General Book Organization.
5. Rami, Ahmed. (2000). *The Rubaiyat of Omar Khayyam: Translated by Ahmed Rami*. Dar Al-Maaref.
6. El-Saadani, Mahmoud. (1988). *Mohamed Abdel Wahab: The Music and The Man*. Dar Al-Shorouk.
7. Al-Samana, Najla. (2017). Translation and Cultural Localization: A Study of the Rubaiyat. *Journal of Translation and Literary Studies*.
8. Saleh, Mustafa. (1993). *Music and Singing in Modern Arabic Literature*. Egyptian General Book Organization.
9. Daif, Shawqi. (1983). *Thought and Arabic Poetry in the Modern Era*. Dar Al-Maaref.
10. Abdel Sabour, Salah. (1980). *The Journey of the Egyptian Conscience in Modern Poetry* (2nd ed.). Dar Al-Hilal.
11. Abdel Ghani, Sami. (2006). *Art and Society in Modern Egypt*. Dar Al-Fikr Al-Muasir.
12. Abdel Maqsoud, Mohamed. (2017). *World Literature in Egyptian Curricula: An Analytical Study*. National Center for Educational Research.
13. Ali, Hassan. (2020). *Existential Thought in Modern Arabic Literature*. Anglo-Egyptian Bookshop.
14. Eyad, Shukri. (1978). *An Introduction to Literary Aesthetics*. Dar Al-Maaref.
15. Fitzgerald, Edward. (1929). *The Rubaiyat of Omar Khayyam* (Revised Edition). George Harrap and Co.
16. Mandur, Mohamed. (1955). *Systematic Criticism in Arabic*. Dar Al-Maaref.
17. Al-Hashimi, Nasser. (2018). The Image of Khayyam in Contemporary Arabic Drama. *Journal of Arts and Literature*, (12).
18. Hilal, Mohamed Ghannemi. (1973). *Comparative Literature: Its Origins and Development*. Dar Nahdet Masr.